شبكة الألوكة / موقع أ. د. فؤاد محمد موس

# هذا ربي



أ. د. فؤاد محمد موسى

تاريخ الإضافة: 20/12/2023 ميلادي - 8/6/1445 ه
الزيارات: 5832

## هَٰذَا رَبِّي

إن أعظم بحثٍ علمي في التاريخ – وإلى يوم القيامة – ذا
قام به إبراهيم عليه السلام؛ بحثًا عن ربه. أعظم بحث علمي في غايته، وفي موضوعه، وفي منه
إجراءاته، وفي خطواته العلمية وفي ضبطه العلمي، وفي تفسيراته، وفي نتائجه، وفي تنبُّه، وفي تحكم
وتطبيقاته. فهو معجزة علمية، بكل المقاييس. إلا أنه يفوق كل الأبحاث البشرية، بأنه سار به
وعبادة لله، ومستعينًا بالله في كل مراحله. فكان مؤيدًا من الله وموفقًا، وهذا ما تفتقده أبحاثنا ا
الأحوال. ومن ثم فنحن في حاجة إلى معرفة هذا التميز والاقتداء به في حياتنا لنخرج به من مت
نعيشها، وما نعانيه من ضلال وتخبط.. فنحن في حاجة إلى عون الله والسير على هداه.

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأن

ومما يؤسف له أنَّني – وأنا أستاذ جامعي متخصص في البحث والتفكير العلمي، أمنح الدرجات
العلم حتى درجة الأستاذية – أشعر بالخزي والعجز أمام هذه التجربة العلمية، لأن كلَّ ما درستُه
مجال البحث العلمي، وما يدرس في كل العالم لم يصل إلى هذا الرقي والسمو في البحث العلمي،
في حلقات مناقشات الأبحاث لا يجد قبولًا، ويتم مقابلته بالاستنكار والرفض، ولدى الكثير من
نستمتع بهذه التجربة ونعيشها مع خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، بقلوبنا ومشاعرنا وأحاسيس

إنَّه مشهد رائع باهر هذا الذي يرسمه السياق القرآني في آياته، إنَّه مشهد رائع باهر هذا الذي
إبراهيم – عليه السلام – والسياق يعرض التجربة الكبرى التي اجتازها في هذه الآيات القص

الفطرة مع الحق والباطل... مع الحقيقة والوهم.

أولا: الشعور والإحساس بالمشكلة.

لقد بدأ إبراهيم عليه السلام الشعور والإحساس بالمشكلة عندما شاهد قومه يعبدون الأصنام،
﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام: 4
السليمة تنكر ابتداء أن تكون هذه الأصنام التي يعبدها قومه آلهةً من دون الله.

فمشهد الفطرة – للوهلة الأولى – تنكر تصورات الجاهلية في الأصنام وتستنكرها.

ثانيا: تحديد مشكلة البحث، في البحث عن الإله:

وهنا انطلق إبراهيم عليه السلام بعد ذلك ونفض عن نفسه هذه الخرافة في شوقٍ عميق دافق ل
الحق الذي يجده ويؤمن به في ضميره، ويحسه في أعماق نفسه، لكنه لا يتبينه في وعيه وإدراكه.
إبراهيم لا يمكن أن يكون صنمًا من حجر، أو وثنًا من خشبٍ... فإنَّ هذا الضلال بينٌ تحسه
عليه السلام – فتنكره وتستنكره، وتجهر بكلمة الحق وتصدع بها.

هذه المعاناة الفكرية التي عاشها إبراهيم داخل نفسه، فبدأ مسيرة البحث عن ربه في هذا الك
لحظات تفكر وتدبر داخل نفسه.. وهنا لا بد أن ندرك للوهلة الأولى أن إبراهيم عليه السلام،
من حوله: نجومِه، وقمره، وشمسِه، ولكن تلك اللحظة الفارقة هي لحظة التفكر والتدبر والتعقل وإ

ونتيجة هذه الفطرة السليمة، وهذه البصيرة المفتوحة؛ وعلى هذا النحو من الخلوص للحق، ومن
قوة، من جانب إبراهيم عليه السلام، كان توفيق الله له في مسيرة بحثه خطوة خطوة، وهذا لا نج
أو منطلقات البحث العلمي الذي يدرس في كل الجامعات، ولا يتم ذكره.

﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: 75].

بمثل هذه الفطرة السليمة، وهذه البصيرة المفتوحة؛ وعلى هذا النحو من الخلوص للحق، ومن
قوة، يوجه الله إبراهيم في بحثه عن ربه في السماوات والأرض، ويطلعه على الأسرار المكنونة في

ويكشف له عن الآيات المبثوثة في صحائف الوجود، ويصل بين قلبه وفطرته وموحيات الإيمان
هذا الكون العجيب، لينتقل من درجة الإنكار على عبادة الآلهة الزائفة، إلى درجة اليقين الواعي

وهذا هو طريق الفطرة البديهي العميق... وعي لا يطمسه الركام، وبصر يلحظ ما في الكون
الله، وتدبر يتبع المشاهد حتى تنطق له بسرها المكنون، وهداية من الله جزاء على الجهاد في الله وا
لا نجده في أبحاثنا العلمية العادية.

فلنتابع الرحلة الشائقة مع فطرة إبراهيم الصادقة، إنها رحلة هائلة وإن كانت تبدو هينة ميسرة
الإيمان الفطري إلى نقطة الإيمان الواعي.

المرحلة الثالثة: فرض الفروض واختبار صحة كل فرض بالتوالي

هنا كما تخبرنا الآيات القرآنية، بدأ إبراهيم علية السلام وضع الفرض الأول، ثم اختبر مدى صحت
والحس البشري، فلما تبين له عدم صحته، انتقل إلى الفرض الثاني، واختبر مدى صحته بالمنطق
البشري أيضا.. فلما تبين له عدم صحته، تيقن أن الأمر يحتاج إلى توفيق من الله فاستعان بربه
يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ [الأنعام: 77].

ولكنه ثابر واستمر في بحثه، وانتقل إلى الفرض الثالث، واختبر مدى صحته بالمنطق العقلي
والآيات القرآنية التالية تصف هذه المرحلة: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ
أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ
فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ
– 78].

المرحلة الرابعة: الفيض الرباني.

فلما تبين له عدم صحة الفرض الثالث، أدرك أن المنهج الحسي الخاص بالمشاهدة والتفسير والت
هذه الحالة توقف عن هذا المنهج في البحث، وجاءه إلهام ربه، فتبرأ من كل الفروض السابقة، ون
عكس كل هذه الفروض، أي (الفرض العكسي).

هنا يقع التماس، وتنطلق الشرارة، ويتم الاتصال بين الفطرة الصادقة والله الحق، ويغمر النور القا
الكون الظاهر وعلى العقل والوعي... هنا وجد إبراهيم إلهه... وجده وعيًا وإدراكًا كما هو في فط
عليها.. وهنا وقع التطابق بين الإحساس الفطري المكنون والتصور العقلي الواضح.

وهنا وجد إبراهيم إلهه، ولكنه لم يجده في كوكبٍ يلمع، ولا في قمر يطلع، ولا في شمس تسطع
تبصر العين، ولا فيما يحسه الحس... إنه وجده في قلبه وفطرته، وفي عقله ووعيه، وفي الوجود
وجده خالقًا لكل ما تراه العين، ويحسه الحس، وتدركه العقول.

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَ
الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: 78، 79].

هذا هو الاتجاه الحنيف الذي لا ينحرف إلى الشرك، والكلمة الفاصلة، واليقين الجازم، والاتجاه ا
بعده ولا حيرة فيما تجلى للعقل من تصور مطابق للحقيقة التي في الضمير.

ومرة أخرى نشهد ذلك المشهد الرائع الباهر... مشهد العقيدة وقد وضحت في النفس وصفت
القلب، بعدما وضحت وضوحها الكامل وانجلى عنها الغبش... نشهدها وقد ملأت الكيان الإ
وراءها شيء، وقد سكبت في القلب الطمأنينة الواثقة بالله الذي آمن به بقلبه وعقله، وهو مش
روعته وبهائه في الفقرة التالية في السياق.

لقد انتهى إبراهيم إلى رؤية الله – سبحانه – في قلبه وضميره وعقله ومن خلال الوجود من ح
قلبه واستراح باله، وأحسَّ برعاية الله وعنايته تأخذ بيده وتقود خطاه في الطريق.

وهنا أقول لنفسي ولكل مسلم: هذا هو طريق تكوين العقيدة الصحيحة في قلب ونفس المسلم.
ربِّك، وتجاهد لتصل بنفسك إلى حقيقة العقيدة الصحيحة. هكذا جاهد الأنبياء والرسل لمعرفة
مسلم حق بحث عن ربه بنفسه فأسلم له. فالذين أسلموا بعد جهاد النفس لمعرفة الله هم المسل
هو الإسلام والاستسلام لله تعالى.

ومن العجيب والعجيب جدًّا أن كل الذين أطلقوا على أنفسهم مسميات غير الإسلام، قد قلوبهم بالأسماء التي اختاروها وسموا أنفسهم بها، فميزوا أنفسهم عن المسلمين بهذه الأسماء، وقد الذي سموا أنفسهم به!

إنهم لم يجدُّوا في البحث عن الله، وإنَّما اتبعوا من لقنهم وبرمجهم على هذه الأسماء، فهم لا يفكر وهذا ما وصفهم به الله: ﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ * وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: 170، 171].